

وا لغتاه!
وا عربيتاه!!
وامعتصماه!!!
فهل يسمع المعتصم النداء؟

أ.د. الشاهد البوشيخي

الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)

والمدير المؤسس لمعهد الدراسات المصطلحية

فاس - المغرب

وا لغتاه!
وا عربيتاه!!
وامعتصماه!!!
فهل يسمع المعتصر النداء؟

أ.د. الشاهد البوشيخي

*رقم الإيداع القانوني: 2015MO2004

*ردمك: 7-664-35-9954-978

*جميع حقوق الطبع محفوظة

*طبع وتصميم: مطبعة آنفو - برانت، 12 شارع القادسية - الليدو - فاس

*الهاتف: 06.61.20.16.41/05.35.64.17.26

الفاكس 05.35.65.72.47

*البريد الإلكتروني: infoprintfes@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

عرض ألقى في الحلقة الثانية من الندوة
العلمية التي نظمتها أكاديمية المملكة
المغربية في موضوع:

**قضايا
استعمال اللغة العربية في المغرب**

بتاريخ 16-17 ربيع الثاني/25-26 ماي 2005.

(1)

مقدمة في موجبات الاستعمال

- الموجب الشرعي:

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّوْرَ ثُمَّ الَّذِيْنَ
كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُوْنَ ﴾ (الأنعام: 1).

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ
الْكِتٰبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهٗ عِوَجًا ﴾ (سورة
الكهف: 1).

﴿ تَبَرَكَ الَّذِيْ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ
لِيَكُوْنَ لِلْعٰلَمِيْنَ نَذِيْرًا ﴾ (الفرقان: 1).

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ بِهِ ذَلِكَ
آيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الروم: 22).

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء: 192 - 195).

أَلَا إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا اخْتَارَ الْإِنْسَانَ، وَاخْتَارَ
لِلْإِنْسَانَ الْقُرْآنَ، وَاخْتَارَ لِلْقُرْآنِ اللِّسَانَ.

فَهَلْ بَعْدَ اخْتِيَارِ اللَّهِ مِنْ اخْتِيَارٍ؟
أَلَا إِنَّ الْمَغْرَبَ قَدْ اخْتَارَ اخْتِيَارَ اللَّهِ جَلَّ
وَعَلَا مُنْذُ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةِ عَشْرَ قَرْنًا. وَحَمَلَهُ إِلَى

أوروبا هَادِيًا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.
وحفظ القرآنَ وحافظَ على لِسَانِهِ منذ أكثر من
ثلاثة عشر قرناً.

فهل بعد هذا الاختيار، الراسخ في
الاختيار، من اختيار؟

وهل يكون لحادثة 1912 وما تناسل منها،
قُدْرَةٌ على نَقْضِ هذا الاختيار؟ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَبَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ

خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْوِ
الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ فَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا
يَشَاءُ ﴿ (إبراهيم 24-27).

إِنَّا مَا دَخَلْنَا التَّارِيخَ بِالْمَارْكِسِيَّةِ أَوْ
الليبرالية، وما سَطَرْنَا إِسْهَامَنَا الحَضَارِيَّ فِيهِ
بِاللُّغَةِ الفَرَنْسِيَّةِ أَوْ الإِنْجِلِيزِيَّةِ أَوْ الإِسْبَانِيَّةِ.

وَإِنَّا دَخَلْنَا التَّارِيخَ مِنْ بَابِهِ الوَاسِعِ
بِالإِسْلَامِ، وَسَطَرْنَا إِسْهَامَنَا الدَّهْبِيَّ فِيهِ بِلُغَةِ
الْقُرْآنِ: كِتَابِ الإِسْلَامِ. وَلَنْ نَدْخُلَهُ مَرَّةً

أخرى، أو نكُتَبَ في دَفْتَرِه الذَّهَبِي بغير الإسلام
ولغة الإسلام.

وإن الدين في رَبْطِهِ للإسلام بالعربية صريح.
وإن التاريخ في جَهْرِهِ باستعمال العربية في
المغرب فصيح.

وإن الدستور في أول سطر فيه عن دين
الدولة ولغتها الرسمية أَصْرَحُ: ((المملكة
المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، لغتها
الرسمية هي اللغة العربية))¹.

¹ في دستور المملكة المغربية 2011 احتفظت اللغة العربية بمكانتها فقد
جاء في الفصل الخامس: "تظل العربية اللغة الرسمية للدولة. وتعمل
الدولة على حمايتها وتطويرها، وتنمية استعمالها".

وإنّ الميثاقَ الوطني للتربية والتكوين، على
ظروفه، هو في ثانياً مُرتكزٍ له أفصحُ وأصرحُ:
(يلتحم النظام التربوي للمملكة المغربية
بكيانها العريق القائم على ثوابتٍ ومقدساتٍ...
عليها يُربّى المواطنون... وهم واعون أتم
الوعي بواجباتهم وحقوقهم، متمكنون من
التواصل باللغة العربية، لغة البلاد الرسمية،
تعبيراً وكتابةً...))

فَهَلْ بَعْدَ هَذِهِ الشَّرْعِيَّاتِ يَتَجَلَّجُ فِي
استعمال العربية بالمغرب مُتَجَلَّجٌ، أو يُحَاجِجُ
فيه - وَحُجَّتُهُ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِ - مُحَاجِجٌ؟

- الموجب التنموي:

لَا جَرَمَ أَنَّ الْمَحَوْرَ الْأَسَاسِيَّ فِي عَمَلِيَةِ التَّنْمِيَةِ
أَوْ الْعُمْرَانِ، عَلَى اخْتِلَافِ مَفَاهِيمِهَا، هُوَ
الْإِنْسَانُ، وَأَنَّهُ لَا انْطِلَاقَ فِي اتِّجَاهِ التَّنْمِيَةِ
وَالْعُمْرَانِ بَدُونِ إِعْدَادِ الْإِنْسَانِ، وَأَنَّ ذَلِكَ
الْإِعْدَادَ لَا بَدَّ أَنْ يَمُرَّ بِمَرَاكِلَ حَتَّى يَصِلَ إِلَى
دَرَجَةِ الْإِبْدَاعِ، أَوْ الْفِعْلِ الْحَضَارِيِّ، أَوْ الشَّرْعِ
فِي الْكِتَابَةِ فِي السَّجَلِ الذَّهَبِيِّ لِلتَّارِيخِ مِنْ:

استيعاب لما هو كائن عموديا وأفقيا.

وتحليل علمي مخبريٍّ له.

وتعليل منطقي موضوعي لظواهره.

وتركيب استشرافيّ لما ينبغي أن يُرتقى إليه.
هذه المراحل تُسرِّعُ قَطْعَهَا أَمْوَرًا، على رَأْسِهَا
شَرْطُ اللُّغَةِ الأُمِّ؛ إِذْ ثَبَّتَ عِلْمِيًّا وَتَجْرِبِيًّا (تجربة
المَجْمَعِ الأُرْدُنِيِّ مِثْلًا) أَنْ الاسْتِيعَابَ بِاللُّغَةِ الأُمِّ
يَكُونُ أَسْرَعَ، وَالتَّوَاصَلَ بِهَا يَكُونُ أَسْهَلَ،
وَالْقُدْرَةُ عَلَى الإِبْدَاعِ تَكُونُ أَكْبَرَ.
وَإِنَّمَا اللُّغَةُ العِلْمِيَّةُ الأُمُّ فِي هَذَا البَلَدِ هِيَ
العربية، اعْتَرَفَ بِذَلِكَ المَعْتَرِفُونَ، أَوْ جَحَدَهُ
الجاحدون.

- الموجب الحضاري:

نحن دينياً وتاريخياً وجغرافياً وحضارياً...
جزءٌ لا يتجزأ من الأمة الإسلامية أو العالم
الإسلامي، عند العدو والصديق معا.

ولكي نتواصل مع مكونات هذه الأمة
عموديا (تاريخيا) نحتاج، ويحتاجون، إلى
الوَصْلِ بِالمُشْتَرَكِ الذي هو الإسلام، ولُغَتِهِ
التي هي العربية.

ولكي نتواصل أفقيا (جغرافيا) نحتاج
ويحتاجون إلى الوَصْلِ بِالمُشْتَرَكِ الذي هو
الإسلام، ولُغَتِهِ التي هي العربية.

ولكي نَحْضُرَ في المستقبل، شاهدين على
الناس، كما أُمِرْنَا، نحتاج ويحتاجون إلى
الوَصْلِ، فالاتصال، فالتواصل بالمشترك الذي
هو الإسلام، ولغته التي هي العربية.
هذا قَدَرْنَا الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ الْكَرِيمُ،
فَلَنَسْبِقُ إلى الاختيار التاريخي بالاختيار،
قبل أن يَجْرِفَنَا اختيارُ التاريخ بالاضطرار.

(2)

مظاهر إشكال الاستعمال

الإشكال للأسف كبير كبير، ومظاهره للأسف غليظة خطيرة.

ومحاولة حصرها يمكن تصنيفها إلى ثلاثة:

- مظهر إهمال الاستعمال:

وذلك:

إما جهلاً بالعربية أصلاً، كما هو حال عدد ممن كتبت عليهم بعد حادثة 1912 أن يجهلوا أو يجهلوا العربية. ومن جهل شيئاً عاداه، كما

يُقَال، بَلَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ.

وإما عادةً، غَلَبَتْ نَتِيجَةَ مُحِيطٍ مُحِيطٍ، كما هو
حال ذَوِي اللُّسَانِ الَّذِينَ غَلَبَ عَلَيْهِمُ بِحُكْمِ
العادة استعمالُ غيرِ العربية.

وإما رَفْضاً لاستعمالِ العربية أصلاً، وذلك
بحمدِ الله، وإن وُجِدَ، قَلِيلاً، كما هو حال بعض
مَنْ تَمَكَّنَ مِنْ قَبْلِهِ بَعْضُ الإِسْلَامِ وَلِغَتِهِ
العربية، عافاهم اللهُ تعالى.

- مظهر فسَاد الاستعمال:

وذلك بالخروج عَنْ نَحْوِ العَرَبِيَّةِ بمفهومه اللغوي الشامل، ولا سيما في:

الصرف (كَنَحَتْ دَمَقَرَطِ الفاسد، بدل دَقُرَطِ الصحيح)

والتركيب (كاستعمالِ إِنْ... وَإِنْ... بمعنى سواء...).

والدلالة (كاستعمالِ التَّكْرِيسِ بمعنى الترسيخ، والطَّرْحِ بمعنى مطلق الوضع...).

الخ...

وَمَنْ تَصَفَّحَ صَحِيفَةً، أَوْ اسْتَمَعَ إِلَى قَنَاةٍ، أَوْ

قرأ بعض ما تقدفه بعض المطابع دون
احتساب، أو صحح أوراق امتحانات
الطلاب، أو أشرف على الرسائل والبحوث
الجامعية، وكان ممن قدر له أن يصحب لسان
القرآن، ولسان السنة البيان، أو الشعر القديم
أو النثر الفصيح... فإنه سيصاب بالذهول من
هول ما أصاب اللسان العربي من خروق
اتسعت على الراقيع.

وحتى الساعة لا يزداد الخرق إلا اتساعاً.
وحتى الساعة لم يستمع لأجراس الخطر
التي تصرخ هنا وهناك بعنف.

وحتى الساعة لم يُتَدَخَّلْ لإطفاء الحريق
الذي يكادُ يأتي على الأخضرِ واليابسِ:
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا
فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ

- مظهر المزاحمة في الاستعمال:

وله صورتان كبيرتان:

أولاهما صورة مزاحمة اللغات الأجنبية
ولاسيما الفرنسية بحكم حادثة 1912. وهي
مزاحمة إِبْعَادٍ لا مِزَاحِمَةٌ إِمْدَادٍ وإِسْنَادٍ. وعند واقع
التعليم منذ الابتدائي حتى نهاية التعليم العالي
الخَبْرُ اليقين؛ حِصْصاً ومُعَامِلَاتٍ وتَحْصُصَاتٍ

... وآفاقاً وتوجُّهاتٍ وارتباطاتٍ ...

ولكثير من مؤسسات القطاع العام
والخاص إمدادٌ وإسنادٌ لذلك الإبعاد.

ولحسيس العَوْلَمَةِ بالخارج والداخل هَدِيرٌ
وزَيْرٌ، وهي تَفُورٌ تكاد تَمَيِّزُ من الغَيْظِ. لَمِنْ
أُلْقِيَ فِيهَا، إِذَا أُلْقِيَ فِيهَا، شَهِيقٌ وَزَفِيرٌ..

هذه صورة، وهي الأكبر والأخطر،
والأدهى والأمر.

وثانيتها صورة مزاحمة اللهجات المحلية.
وكثيراً ما يُضَخَّمُ خَطَرُهَا تَغْطِيَةً وَصَرَفًا
لِلأَنْظَارِ عَنِ الْخَطَرِ السَّابِقِ الْأَكْبَرِ.

(3)

محاولة لحصر الإشكال

تلك المظاهر، على تنوعها وتباعدها، مردها
عند التأمل في عللها، ومحاولة حصرها، إلى
سببٍ واحدٍ وحيدٍ هو الجهل.
أجل، الجهل بأنواعه الثلاثة أيضاً:

أ- جهل بجدوى الاستعمال

الذي هو سبب التَّرك والإهمال؛
إذ لَوْ عَرَفَ الجاهلون به، فوائد العلم به،
حاضراً ومستقبلاً، وفوائد استعماله في مُختلفِ
المَجالات، لَطَلَبُوهُ وَقَدَّمُوهُ.

ولو عَرَفَ ذلك الرَّافِضُونَ لَرَفَضُوا مَا هُمْ
فيه، وتَأَبَّوْا مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ إِلَيْهِ.

ولو عَرَفَ ذلك المَعْتَادُونَ لِغَيْرِهِ لَعَادُوا إِلَيْهِ.
ولكنه الجَهْلُ المَفُوتُ لكثير من الخير،
وجزى الله خيراً صاحب المَثَلِ القائل:
(اللي ما عَرَفَكَ خَسِرَكَ =

الذي ما عَرَفَكَ خَسِرَكَ)

ب- جهل بصحة الاستعمال

الذي هو سببُ فساد الاستعمال؛
إِذْ لَمْ يَعُدْ اِكْتِسَابُ العَرَبِيَّةِ مِنَ الأَصُولِ
الصحيحة الفصيحة التي كانت قبل حادثة
الاحتلال (الاستعمار) في العالم الإسلامي،

وُنزِلَتْ مُسْتَنْبِتَاتٌ مَنزِلَةَ الْأَصُولِ، تَعْرِفُ مِنْهَا
وَتُنْكِرُ. وَحَدَّثَ فِي هَذَا الظَّرْفِ، وَأُحْدِثَ،
«الحديث» مَبْتُوتًا مَقْطُوعًا أَوْ يَكَادُ عَنِ
«القديم»، فَكَانَ، نَتِيجَةَ الشَّرْحِ الْأَخْذُودِ،
شُرُوحٌ فِي اللُّغَةِ، وَفِي غَيْرِ اللُّغَةِ....

وَلَنْ يَسْتَقِيمَ أَمْرُ اللُّغَةِ إِلَّا بِمِيزَانِ اللُّغَةِ....
وَلَنْ يَسْتَقِيمَ أَمْرُ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا بِمِيزَانِ
الْعَرَبِيَّةِ...

وَإِنَّمَا رَأْسُ الْبَيَانِ، فِي مِيزَانِ الْعَرَبِيَّةِ وَبِمِيزَانِ
الْعَرَبِيَّةِ، الْقُرْآنُ.

وَمَا لَمْ يُؤَسَّسِ التَّعْلِيمُ عَلَى الْقُرْآنِ، فَلَنْ
يَسْتَقِيمَ لِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيَّةِ مِيزَانٌ.

ج- جهل بضرورة وحادّة الاستعمال

الذي هو سَبَبُ المزاومة في الاستعمال؛
إذ لَوْ عَلِمْنَا وَأَيَقْنَا أَنْ لا بَدَّ من لغةٍ واحدةٍ
في الاستعمال، لتسهيلِ الجَمْعِ ومنعِ التفريقِ،
وتسريعِ التفاهمِ ودَفْعِ التصادمِ، وتكثيرِ
الائتلافِ وتقليلِ الاختلافِ.... إلى غير ذلك
من لَوَازِمِ رَصِّ الصِّفِّ، والانطلاقِ الجماعي
في اتِّجَاهِ التنميةِ الشاملةِ، والإبداعِ الحضاري
المتميز.

لو عَلِمْنَا ذلك لا اخترنا، واقعاً واستعمالاً
- كما اخترنا، دستوراً وميثاقاً- العربية، والعربية
فقط، لأسبابٍ، كما تقدم، متعددةٍ كثيرةٍ.

(4)

اقترح حل للإشكال

لَا جَرَمَ، بعد الذي تقدّم، أن الحلَّ يكْمُن في
هذا اللفظ القليل المفيد:

القضاء العلمي المنهجيّ الشامل على الجهل
بأنواعه الثلاثة:

أ- القضاء العلمي على الجهل بالبحث
العلميّ للإشكال، استيعاباً وتحليلاً وتعليلاً
وتركيباً من مؤهّلين مُعافين، أقوياء أمناء، لا
تأخذهم في العِلْمِيَّة لَوْمَةٌ لَائِمٌ.

ب- القضاء المنهجيّ بالتخطيط والتنفيذ
المُحكّم التدريجي الذي لا يُؤخّرُ ما حَقُّهُ

التقديم، ولا يُقدّم ما حُقِّه التَّأخِير، ولا يُساوِمُ
على ثابتٍ من أَجْلِ مُتَغَيِّرٍ، ولا على اختيارٍ
بسببِ ضَغْطِ كِبَارٍ.

ح- القضاء الشامل بتَّبَعِ الإِشْكَالِ فِي كُلِّ
المَجَالَاتِ، حَسَبَ الأَوْلِيَّاتِ، على المستوى
الرَّسْمِيِّ والشَّعْبِيِّ معاً.
ولا شَكَّ أَنَّ ذَلِكُمُ القَضَاءُ يَتَطَلَّبُ، على
رَأْسِ مَا يَتَطَلَّبُ:

- 1 - القَرَارَ السِّيَاسِيَّ السَّرِيعَ والإِرَادَةَ
السِّيَاسِيَّةَ الحَازِمَةَ الحَاسِمَةَ.
- 2 - التَّعَاوَنَ الصَّادِقَ المُسْتَمِرَّ مِنْ جَمِيعِ
مُؤَسَّسَاتِ المَجْتَمَعِ ومُكَوِّنَاتِهِ.

(5)

خاتمة في لوازم البدء والإتمام

وإنما يَلْزَمُ الإِتْمَامُ بِالشُّرُوعِ، كما يُقَرَّرُ ذلك
علماءنا. وأوَّلُ الشُّرُوعِ، الشُّرُوعُ فِي السَّيْرِ فِي
الِاتِّجَاهِ:

- اتِّجَاهٍ مَنْ بِيَدِهِ القَرَارُ إِلَى الإسْرَاعِ فِي اتِّخَاذِ
القَرَارِ (فَقَدْ بَلَغَ السَّبِيلَ الزُّبَى وَوَصَلَ الحِرْزَامُ
الطُّبِّيْنَ).

- اتِّجَاهٍ مَنْ يَعْلَمُ الحَالَ وَالْمَالَ إِلَى الإِلْحَاحِ فِي
الطَّلَبِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ، لِتَحْسِينِ الحَالِ وَالْمَالِ
- اتِّجَاهٍ مَنْ يَجْهَلُ وَاقَعَ الأَوْضَاعَ إِلَى الحِرْصِ

على الاستماع للتي هي أقوم، بالتي هي أسرع.
وأخيرا:

وَالْغَتَاةُ!

وَأَعْرَبِيَّتَاهُ!!

وَأُمُعْتَصِمَاهُ!!!

فهل يسمع المعتصم النداء؟
وهل يُسارعُ أهلُ الحَلِّ والعقدِ لكشف
البلاء؟

وهل يتعاون أحياءُ الأمةِ على كُشفِ الغُمَّةِ؟
اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت
تجعل الحزنَ إذا شئت سهلا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفهرس

- 5 (1) مقدمة في موجبات الاستعمال.....
- 15 (2) مظاهر إشكال الاستعمال.....
- 21 (3) محاولة لخصر الإشكال.....
- 25 (4) اقتراح حل للإشكال.....
- 27 (5) خاتمة في لوازم البدء والإتمام.....

صدر من هذه السلسلة

- 1- المسلمون بين شدائد العصر وبشائر النصر.
 - 2- فقه واقع الأمة دراسة في المفهوم والشروط والعوائق
 - 3- نظرات في مستقبل الهوية الإسلامية في ظل منظومة العولمة.
 - 4- ورقات في المسألة العلمية.
- ويصدر قريبا:**
- 6- أهمية العناية باللسان العربي في توحيد الأمة الإسلامية.
 - 7- نظرات في أزمة التربية في الأمة الإسلامية.

